أبو حَمُّو الزَّيّاني ؛ إذ يقول : « وكان يقوم بحقّ ليلة مولد المصطفى ﷺ ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يُقيم مَدْعاةً يحشر لها الأشراف والسّوقَة ، فما شئت من نمارِقَ مصفوفة ، وزَرابِيٍّ مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات، وأعيان الحَضْرة على مراتبهم ، تطوف عليهم وِلْدانٌ قد لبسوا أقْبِيَة الخَزِّ الملوّن ، وبأيديهم مباخِرُ ومِرشّات ، ينال كلٌّ منها بحظّه ، وخِزانة المنجانة ( آلة لرصد الوقت ) ذات تماثيل لُجَيْن مُحْكَمَة الصَّنْعة . والمُسْمِع قائمٌ يُنشد أمداح سيِّد المرسَلين ، سيِّدنا ومولانا محمد ﷺ ، ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دوراً ، قد اشتملت من أنواع محاسن الطِّعام على ألوان تشتهيها الأنْفُسُ ، وتستحسنها الأعينُ ، والسُّلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه ، وكلُّ ذلك بمرأى منه ومسمع ، حتى يصلّي هنالك صلاة الصُّبح . وما من ليلة مولدٍ مَرَّت في أيامه إلا نَظَم فيها قصيداً في مدح المصطفى ﷺ أوّلَ ما يبتدئ المُسمِع في ذلك المَحْفِل العظيم بإنشاده ، ثم يتلوه إنشادُ مَن رُفع إلى مقامه العليِّ في تلك الليلة نظماً .»

ولم ينفرد بلاطُ تِلِمْسَان بهذه الظّاهرة من العناية بالمولد النَّبويِّ ، بل يمكن أن نقول إن هذا الوصف السّابق يمكن أن ينسحب أيضاً على سائر بلدان المغرب : في غَرْناطة ، وفي فاس ، وفي تونس .

وهكذا نرى كيف التقى شرق العالم الإسلاميِّ وغَرْبُه على العناية بالمولد النَّبويِّ ، ابتداءً من القرن السّابع الهجريّ : في المشرق بفضل الملك المُظَفَّر صاحب إرْبِل في شماليّ العراق ، وفي المغرب بفضل الأمير الفقيه أبي العباس العَزَفيّ صاحِبِ سبْتَة في أقصى المغرب [1] ، ولعلَّ من العوامل التي زادت الاهتمام بهذا العيد ، وبما رافَقَه من أدبٍ شعريّ ونثريّ وفير ؛ ما قُدِّر

(١) يُمثّل هذا اللّقاء أيضاً بين المشرق والمغرب الإسلاميين ما سبق أن أشرنا إليه عند الحديث عن الملك المظفّر كوكبوري ، من وفود الأديب المُحَدِّث الأندلسي ابن دِحْيَة الكلبي ( ت ٦٣٣ ) على هذا الملك في إربل، ومن تأليفه كتاب « التّنوير في مولد السِّراج المنير » الذي كان يُقْرأ على الملك نفسه كل عام .